

## أثر الحراك السياسي والاحتياجات الاجتماعية على جماليات عمران

### القاهرة التاريخية

د/إيمان على رشدى الهوارى

دكتوراه الفلسفة فى الفنون التطبيقية

#### ملخص البحث :

أثرت المتغيرات السياسية بداية من منتصف القرن العشرين بشكل مباشر على تركيبة المجتمع المصري ، وكنيجة لذلك ، تنوعت الاحتياجات الاجتماعية دون ضوابط ، للدرجة التي اختفت فيها وتوارت العديد من الجماليات التي طالما شكلت وجه القاهرة التاريخية واعتبرت معها القاهرة مصدرا للإلهام والإبداع الثقافي .

ولقد عد هذا الانفلات الذي أصاب المجتمع المصري سبباً رئيسياً مباشراً لأصابة أخلاقه وعمارته و فنونه حيث انتشرت حالة من الفوضى الاجتماعية والفنية والمعمارية ، واصبح التطبيق الملح لسياسات الحفاظ بأنواعها أمراً أساسياً لانقاذ الكنوز التراثية للقاهرة المتمثلة هنا في عماراتها وتراثها الاسلامي . و لما كانت العمارة نتاج مباشر لتفاعل الانسان مع بيئته ، ترتبط طورياً بمقدار رقي الثقافة وتحضر الانسان ، فهي بالضرورة كيان حي تؤثر فيه سياسات الدولة وفلسفتها لمفهوم التنمية وكيفية صياغة شكل العمران .

وتكمن مشكلة البحث الرئيسية في غياب وتخبط السياسات العمرانية والتي اتخذت موقع رد الفعل لمتطلبات الذوق المجتمعي المريض وعدم الاخذ بزمام المبادرة في سبيل ضبط والارتقاء بالمستوى والوعي الثقافي للمجتمع ، وعدم تحديد الاولويات فى المتطلبات المجتمعية والعمل على تغيير المفهوم والتصور المنطقي للعمارة والعمران .

ويهدف البحث الي التوصيف الدقيق للمشكلات المركبة المؤثرة في الحراك المجتمعي والسياسي في الشق الثقافي منه ، وطبيعة الأمراض التي مضى على نشوئها وقت طويل حتى يصعب تحديد تاريخ الاصابة الاولى ، و مدى مسئولية السياسات التخطيطية ، وصانعي الثقافة وممارسيها ، الذين فرضوا أذواقهم و رغباتهم على ارض الواقع .

ويفترض البحث ان اغفال الدراسات الاجتماعية والسياسية (المنطقية المجردة ) تقلل من فرص الوصول الى حلول جزرية ومستدامة لمشكلات التدهور العمراني ، كما يفترض أن ثقافة المجتمع وأخلاقه و جمالياته قد تنهار وتتآكل في فترة زمنية وجيزة، ولكن استعادة سلامتها وفعاليتها يحتاج إلى زمان أطول وجهود جادة ، حتى تستطيع ضبط التفاعل وتنظيمه وتوجيه البشر نحو هدف مشترك.

والبحث يتناول بالدراسة العلاقة التبادلية بين التحولات السياسية وعمران المناطق التاريخية بالقاهرة الاسلامية ( كحدود للبحث ) ، و يرصد كيف تعاني مصرمغ التغيير المضطرب والمتساهل في التعامل مع المناطق المصنفة كتراث انساني ، والتي لا تدع فرصة لجنى ثمار كل سياسة و الاستفادة من ميزاتها وكيف ترك هذا التخبط اثاره على نفوس وسلوك وعمران ساكنى المدينة ..

**كلمات مفتاحية :** جماليات عمران القاهرة الاسلامية - التحولات السياسية - ثقافة المجتمع

## The impact of political mobility and social needs on historical Cairo's urban aesthetics

by : Dr/ Eman Aly El hawary

### Abstract :

Since the middle of twenty's century, political changes had directly affected the structure of Egyptian society , and as a result , social needs had varied without any control to the extent that many aesthetics that created the beauty of historical Cairo and was considered as a source of inspiration and cultural creation, had disappeared .

This loose that affected the Egyptian society was considered as a main and direct reason of infecting its manners, buildings and arts. And as a result, a state of society's and artistic mess had spread. The application of all kinds of reservation policies is essential to save the treasures of historical Cairo specifically Islamic heritage and architecture.

As Architecture is a direct interaction between man and his environment and it is directly proportional to his civilization and cultural level, it has been` affected by the state policy as well and its development philosophy in the formulation of the form of urbanism.

The problem of the research is the absence and the urban policy floundering that responds to the illness of the societal taste demands. It never takes the initiative to increase cultural awareness in society .

The research aims to accurate description of the old and complicated problems which affects social and political mobility and to measure the extent of its responsibility towards society's taste.

The research supposes that ignoring social and political studies reduces the chances to achieve sustainable and radical solution to the urban deterioration , and it also supposes that society's culture, morals and aesthetics could collapse in a short period of time , while rebuilding needs much more time and effort. It also monitors how much Egypt suffers from confusing and turbulent changes in policies, which affects people's behavior and attitude in old cities

The research focuses on historical Cairo, as a study limit in the second half of twenty's century.

**Key words** : historical Cairo / political changes / social mobility /urban deterioration

**مشكلة البحث :** حدوث تغيرات سياسية واجتماعية عميقة التأثير على المجتمع المصرى و ارتباطها بطغيان المعانى الوظيفية المادية المجردة على اعتبارات الشكل وأهمية الحفاظ على التراث .

- غياب وتخط السياسات العمرانية والتي اتخذت موقع رد الفعل لمتطلبات الذوق المجتمعي المريض .
- عدم الأخذ بزمام المبادرة في سبيل ضبط والارتقاء بالمستوى والوعى الثقافي للمجتمع .

**أهداف البحث :** التوصيف الدقيق للمشكلات المركبة المؤثرة في الحراك المجتمعي والسياسي في الشق الثقافي منه ، وطبيعة الأمراض التي مضى على نشوئها وقت طويل حتى يصعب تحديد تاريخ الإصابة الأولى ، و مدى مسئولية السياسات التخطيطية ، وصانعي الثقافة وممارسيها ، الذين فرضوا أدواقهم و رغباتهم على أرض الواقع .

**فروض البحث :** يفترض البحث أن إغفال الدراسات الاجتماعية والسياسية (المنطقية المجردة ) تقلل من فرص الوصول إلى حلول جذرية ومستدامة لمشكلات التدهور العمراني ، كما يفترض أن ثقافة المجتمع وأخلاقه و جمالياته قد تتآكل في فترة زمنية وجيزة، ولكن استعادة سلامتها وفاعليتها يحتاج إلى فترة زمنية أطول وجهود جادة، حتى تستطيع ضبط التفاعل وتنظيمه وتوجيهه البشر نحو هدف مشترك.

يفترض البحث وجود علاقة تبادلية بين التحولات السياسية وعمران المناطق التاريخية بالقاهرة الإسلامية، و يرصد كيف تعاني مصر مع التغير المضطرب والمتساهل في التعامل مع المناطق المصنفة كتراث انساني ، والتي لا تدع فرصة لجنى ثمار كل سياسة و الاستفادة من ميزاتها وكيف ترك هذا التخطب آثاره على نفوس وسلوك وعمران ساكنى المدينة.

**مصطلحات البحث :** جماليات العمران - القاهرة الإسلامية - التحولات السياسية - ثقافة المجتمع - الحراك الاجتماعى.

**منهج البحث :** منهج استقرائى تحليلى .

**حدود البحث :** البحث يتناول بالدراسة المناطق ذات القيمة التراثية فى القاهرة التاريخية كحدود مكانية ويرصد التغيرات السياسية فى حوالى الستين سنة الأخيرة كحدود زمانية .

**الإطار النظرى للبحث :**

**ملاحح فى تاريخ و شخصية مدينة القاهرة:**

منذ عرفت مصر العواصم الموحدة و العاصمة فيها لها حجم هائل بالنسبة لمجموع حجم الدولة ، و كانت المعادلة الإقليمية تتألف تقليديا من رأس كاسح و جسم كسيح ..

و العاصمة كانت دائما تسود الحياة المصرية بصورة طاغية و غير عادية حتى إنه يمكن أن يقال إن تاريخ مصر ليس إلا تاريخ العاصمة أو يكاد، مما يعطى إحساساً بإيجابية العاصمة و سلبية الأقاليم ، و ليس من قبيل الصدفة أن مصر من البلاد القليلة التى يطلق فيها اسم البلد على العاصمة في العرف الدارج رغم اختلافهما رسمياً .

وليس أدل من هذه المركزية من البعد التاريخى ... فلم تكن طيبة في الجنوب عاصمة وطنية إلا لفترة قصيرة ،وبالمثل كانت تانيس في شرق الدلتا تجربة عابرة ، أما الإسكندرية فلم تكن عاصمة إلا كانهرافة استعمارية مؤقتة ، فيما عدا هذا فمنطقة رأس الدلتا سواء منذ منف أو طيبة أو هيليوبولس أو أون ثم الفسطاط ثم القاهرة هى العاصمة الطبيعية لمصر طوال تاريخها.

و من الملاحظ أن سقوط العاصمة في أية فترة من فترات التاريخ كان معناه تلقائيا سقوط مصر ، و معنى هذا أن بقية الأقاليم على امتدادها أفقر و أعجز من أن تنظم كوحدات مستقلة فعالة للدفاع الوطنى في حال سقوط العاصمة ، إذن فالقاهرة هي قلب مصر سياسيا و اقتصاديا و حضاريا ، و العلاقة بين القاهرة و الأقاليم تضعنا أمام ازدواجية حضارية صارخة ، فالقاهرة فقاعة حضارية براقية ، والأقاليم قوقعة حضارية راكدة.

و المركزية تورث الحجم ، و قد حققت العاصمة دائما حجما ضخما بين مدن مصر بل و بين عواصم العالم ، بل إن عاصمة مصر عبر معظم مراحل التاريخ ، إن لم تكن "عاصمة العالم " بمعنى كبرى مدنه إطلاقا ، كانت على الأقل ندا مكافئا و منافسا عنيدا .

وكانت القاهرة دائما محط نظر واهتمام الدارسين والباحثين وشغلت مشكلاتها المركبة العvisية على الحل أذهان العديد من أصحاب العقول الدؤوبة الساعية لإنقاذها . يتحدث جمال حمدان في دراسته العبقريّة (شخصية مصر) عن أن ماتحتاجه مصر إنما هو ثورة نفسية بمعنى تغيير جذرى في العقلية و المثل وأيدولوجيا الحياة . ثورة في الشخصية المصرية وعلى الشخصية المصرية.

**القاهرة والمركزية الوظيفية (البيروقراطية):** على مدار التاريخ ثبت أن رخاء مصر و ازدهار اقتصادها و استقرار العمران فيها كانت جميعا رهنا بدرجة ما بدور الجهاز الادارى المصرى الذى تغلغل كالشرايين في الحياة المصرية ، فما أكثر الأزمات و المجاعات التى تجتاح الوادى اذا ما فسد الجهاز الادارى و ما أكثر ايام الرخاء و النظام اذا تم الاصلاح فيه حيث يكون الانسان المصرى دائما في احسن حالاته في ظل الدولة القوية ، حين يزدهر الاقتصاد و تحصل الضرائب فتتفق الدولة على مختلف المشروعات و الخدمات العامة و ينضبط نظام التعليم و تخلق فرص العمالة و قد تقدم الدولة الدعم للفقراء .

وعندما تكون الدولة ضعيفة لا تحصل الضرائب و يخرق الناس القانون ، و يفقد الناس احترامهم لرجل البوليس و يختل الأمن و لا تحترم قواعد المرور ، وقد يقال إن هذه القاعده تنطبق على أية دولة و ليست مصر وحدها و لكن هذا ليس صحيحا أو ليس صحيحا بنفس الدرجة ، فلبنان مثلا ما أكثر فترات ازدهاره الاقتصادى في ظل دولة ضعيفة ، أما في مصر فسواء نظرنا إلى التاريخ الحديث أو المتوسط أو القديم سنجد أن ازدهار الحضارة المصرية و تقدم أحوال الإنسان المصرى يكونان دائما في ظل الدولة القوية .

كثير من الكتاب يفسرون هذه الظاهرة المصرية باعتماد مصر ، هذا الاعتماد الكلى على النيل ، فالنيل يحتاج إلى تدخل مستمر من جانب الدولة أى إلى دولة مركزية قوية تتدخل بتوزيعها توزيعا عادلا يحمى من الجفاف أو الفيضان ؛ كذلك كلما زادت الكثافة السكانية العالية المتمركزة حول نهر النيل اشتدت الحاجة إلى دولة مركزية قوية . (جلال أمين /2011/ص31-32 )

أى أنه نظرا لأن البيئة المصرية بيئة فيضية ؛ و لهذا أصبح الرى مرادفا للتنظيم المركزي الذي يخضع فيه الجميع طواعية لسلطة عامة مطلقة ، علم الشعب أن النظام أساس الحضارة و بذلك بدا دور الحكومة الطاغى ، و أرسى نواة الموظفين الثقيلة و أصبحت البيروقراطية المركزية عنصرا أصيلا في مركب الحضارة المصرية كما أصبح ثقلا عنيدا في موكبها

قد يكون السبب سمات في الشخصية المصرية التى جعلها تميل إلى تسليم قيادها إلى حاكم قوى و لا تستطيع تنظيم مشروع بنجاح ، اعتمادا على مجرد التعاون بين مجموعة من الأفراد و قد يكون السبب هو اعتياد المصريين على ذلك منذ الآف السنين.

" كان للعقارات الملكية أو المقدسة قوة جاذبية عجيبة على من يقيمون حولها ، ففي زمن الاضطرابات كان الأهالى الذين ينتابهم الذعر يغتصبونها ليعيموا فيها و يرفضون تركها و يشيدون منازلهم فى الحدائق و البساتين و يشوهون جمال التصميم الذى أراد له مشيدوه "

"إنها ظاهرة تكررت أكثر من مرة على مر الزمن ، إذ كان الأهالى ينتهزون فرصة عدم يقظة السلطات أو ضعفها ليهجروا الأحياء التى لا تروقهم و ينتقلوا إلى داخل الأسوار الكبرى ليحتموا بها أو يسطوا على الأموال و عندما تنتيقظ السلطات ، فإنها كانت تطرد الغاضبين فتستعيد المعبد و العاصمة عظمتها إلى أن تتكرر هذه المحاولة من جديد " (بيير مونتييه /1997/ ص22-23-24)

وأعتقد أن هذه الظاهرة هي جذور تاريخية لظاهرة العشوائية و كراهية النظام و القوانين فى مصر ، و انتهاز كل فرصة ممكنة لاختراق النظام و الخروج على القانون و يظهر ذلك فى البناء العشوائى و التعدى على حرم الطريق و الأرصفة من الباعة الجائلين "العظمة فى الشرق معناها الطغيان، و الطغيان من معانيه كسر القوانين، فيستحيل أن يكون العظيم عظيماً عندنا إن أطاع القوانين، حتى لو كان هذا القانون من وضعه هو ؛ لأن العبث بالقيود هي عندنا الحد الفاصل بين السيد و المسود...



شكل 2



شكل 1

فقل لى إلى أى حد تستطيع فى الشرق أن تعبت بالقانون و بالنظام، أقل لك فى أية مرتبة أنت من مراتب المجتمع، فأعلاها منزلة أكثرها عبثاً و أدناها أقلها (زكى نجيب محمود / الكوميديا الالهية / ص82).

**السلوك الانسانى**: يتكون السلوك الإنسانى من العديد من الأنشطة التى يؤديها الفرد فى حياته اليومية و السلوك إما أن يكون فطرياً أو مكتسباً و السلوك الفطرى فهو ما يلزم الإنسان تلقائياً و لا يحتاج إلى تعلم ، أما السلوك المكتسب فهو الذى يتعلمه الفرد نتيجة الاحتكاك بالبيئة المحيطة ويمكن تصنيف السلوك الإنسانى إلى :

**السلوك الفردى** : و هو كل ما يتعلق بالفرد من أفعال و تصرفات تعبر عن شخصيته و كل ما يتعلق به من خبرات و ثقافة و قيم و موروث ، و تُعد البيئة ذات تأثير مباشر على السلوك الفردى للإنسان .

**السلوك الجماعى** : هو اتفاق الناس الذين يجمعهم ارتباط ما سواء كان عرقياً أو عقائدياً أو مكانياً على اتجاه عام للتعبير، و بذلك فإن القوة المؤثرة فى السلوك الجماعى تحمل ملامح ثقافة هذا المجتمع ، و تؤدى الى نوع من التجانس و شعور الفرد بالانتماء ..

**السلوك الاجتماعى**: إن سلوك الأفراد و الجماعات تشكل مجموعة الأنشطة التى تمارس فى البيئة الفراغية و التى يؤثر فيها الإنسان و يتأثر بالبيئة المحيطة .

## كيفية تفاعل الانسان مع البيئة المحيطة :

## جدول 1

يتفاعل الإنسان مع البيئة من خلال ثلاثة مستويات من المعانى :



وفى محاولة لتتبع جذور مشكلة التدهور العمرانى للقااهرة التاريخية الإسلامية و المرتبطة ارتباطا وثيقا بتدهور السلوك الإنسانى فيها كان لزاما رصد شكل المجتمع المصرى وتكوينه فى ظل تغييرات سياسية متباينة ومختلفة فى فترة زمنية محدودة ابتداء من ثورة يوليو 1952م حتى وقتنا هذا، والتي تركت كل منها أثرا عميقا مؤثرا فى تركيب الشخصية المصرية .

على مدى أكثر نصف قرن حدثت تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة، تحرك المجتمع فى الأربعينيات والخمسينيات بطبقة عليا ذات سلوك أناني فى غالبه، وانتهى فى العقد الأول من الألفية التالية إلى مجتمع تسيطر عليه الطبقة العليا نفسها، بعواطفها الأنانية ونزعاتها الفردية . مجتمع بدأ بالثورة على الفساد و القيم الفاسدة، فإذا به ينتهي إلى مجتمع منتج للفساد متخل عن القيم، تعوق حالته عملية الإصلاح والتغيير .

يكشف تأمل الحصاد الثقافي الناتج عن التحولات الاجتماعية، التي خضع لها المجتمع المصري أن ثمة مظاهر عديدة لحالة من الانهيار ، تشير جميعها إلى مجتمع قد فقد قيمه، ومن ثم قواعده المنظمة للسلوك، فالسلوك فى هذا المجتمع أصبح عشوائيا

## كيف أثر النظام الاشتراكي على قيم وثقافة المجتمع ؟:

- لم تكن الأيدولوجية السياسية للنظام متوافقة مع ثقافة وقيم المجتمع، بل كانت مفروضة عليه من الخارج. وإذا كان التوجه القومي هو السائد فى الفترة من 1952-1960م، وإذا كان هذا التوجه متسقا فى بعض جوانبه مع ثقافة وقيم المجتمع، فإنه ابتداء من 1960 وحتى 1970 اختار النظام السياسى الاشتراكية توجهها أيدولوجيا له، وهو توجه لم يتفق مع ثقافة المجتمع وقيمته إن لم تتناقض معه .
  - تأسيس بداية الثقافة الانتهازية التي بدأت تتشكل فى هذه الفترة متمثلة فى أن النظام السياسى فضل أهل الثقة على أهل الخبرة .
  - يضاف إلى ذلك أن الهجرة بدأت كثيفة من الريف إلى الحضر خلال هذه المرحلة أيضا ؛ لأن التنمية أخذت الطابع الحضري بالأساس ؛ ونظرا لأن الشرائح الفقيرة هي التي هاجرت فى الغالب، فقد بدأت التجمعات العشوائية والثقافات العشوائية تظهر فى المدينة خلال هذه الفترة، حتى قيل : إن الريف ساعد فى تزييف ثقافة المدينة .
- وبشكل النظام الليبرالى النظام السياسى الذى شغل الفترة 1970-1980، حيث أدرك هذا النظام بدايات ضعف القوى الاشتراكية على المستوى العالمى، وزيادة فعالية المد الليبرالى ، ومن ثم أسس سياسة الانفتاح الاقتصادى .

## كيف أثرت سياسة الانفتاح على ثقافة المجتمع ؟

- اتساع مساحة القيم الانتهازية، التي بدأت في المرحلة السابقة ؛ وذلك بسبب زيادة مساحة الشرائح التي تبنت هذه القيم، خاصة من بين أعضاء النخبة الاشتراكية السابقة التي تحولت باتجاه تدعيم قواعد الليبرالية.
  - بالإضافة إلى ذلك انتشرت الثقافة الاستهلاكية في المجتمع بسبب اندفاع البشر بعد حرمان طويل ، وبسبب عدم وجود قنوات تساعد في توجيه المدخرات الصغيرة -التي نتجت عن الهجرة إلى مجتمعات الخليج - لبناء مشروعات أو استثمارات جادة .
  - إلى جانب ذلك ظهرت الثقافة الدينية المتطرفة على الصعيدين الإسلامي والمسيحي.
- وتعد الفترة من 1980م- حتى الآن للنظام أو النمط الثالث استمرارا لنفس النظام الليبرالي، ويمكن أن نسميها بمرحلة الفوضى الليبرالية، حيث ضبط إيقاع وتفاعل هذه المرحلة متغيرات عديدة، أبرزها :
- وضوح هيمنة القوى العالمية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية،
  - تأثير العولمة التي اخترقت مختلف الأصعدة الاقتصادية والثقافية والسياسية.
  - إلى جانب ذلك ، سيطرة رجال الأعمال على السلطة، إضافة إلى ضعف بنية المجتمع في هذه المرحلة، مما ساعد على انتشار ثقافات انحرافية عديدة ابتداء من الانتهازية، وحتى ثقافة الفساد والرشوة، إلى جانب ثقافة الانحراف الاجتماعي والأخلاقي ، وهي جميعها دفعت إلى نمو واتساع ثقافة عدم الانتماء .

## جدول 2



شكل 4 عشوائية شوارع القاهرة 2015



شكل 3 تراس فندق شبرد/ القاهرة 1942

## الحراك الاجتماعي وأثر الاستهلاك على عمارة القاهرة التاريخية :

أثرت المحاكاة و تقليد الغير الأعلى دخلا في نمط استهلاكه ، هذا الاستهلاك المظهري الهدف منه هو الرغبة في الحصول على رموز طبقية تؤكد الإنتماء الى طبقة أعلى من طبقته الحقيقية ، وهو يكون في قمته في المراحل الأولى من الصعود و يقل مع ازدياد الطبقة الصاعدة ثقة بنفسها ، ويمكن لمس هذا السلوك في تعامل هذه الفئة مع العمارة بنفس منطق التعبير الصارخ عن الثراء ، وإن خلا تماما من الذوق أو الجمال و التنصل من كل ما هو قديم و عريق ، و الذى يحمل لهم ذكريات ليست سعيدة، وبالتالي يصبح التخريب المتعمد للعمائر القديمة هدف غايته التخلص من القديم وما يحمله من معانٍ في مقابل الحديث .

يتناول د جلال أمين رأى عالم الاجتماع سوركين p. Sorokin فى هذا الصدد : " بينما تميل الطبقات الدنيا في الظروف الاجتماعية الثابتة نسبيا إلى تقليد الطبقات الأعلى منها في أنماط سلوكها ، فإنه في الظروف التى تتعرض فيها الطبقات العليا للانحدار و التدهور على درجات السلم الاجتماعى يحدث العكس ، حيث تأخذ الطبقات الهابطة في تقليد و اقتباس الطبقات الأدنى منها و اقتباس قيمها " (جلال أمين /1999/ص50) وهو ما قد يفسر انتشار بعض القيم في الطبقات العليا و الدنيا كتناول المأكولات الشعبية و انتشار الأسماء الريفية و غيرها ، فالطبقة الصاعدة تفرض نفوذها و سلوكياتها نظرا لقوتها الشرائية و الطبقة الهابطة تحاول أن تتكيف و تسير الواقع .

إن الحراك الاجتماعى السريع الذى كان نتاج السياسات السابقة أدى إلى التخلي عن القيم وفضائل الأخلاق في مقابل الشطارة و السرعة و انتهاز الفرص و اعتقد أنه في ضوء هذا التحليل يمكن أن ندرك ظاهرة هدم المباني ذات القيمة الفنية و التاريخية حيث فقدت مصر الكثير من الكنوز المعمارية التى تم اغتيالها و بناء أبراج و مباني قبيحة و مشوهة ، و ذلك للانتفاع المادى و عدم وجود أى تعاطف مع القديم ، كما أن الفساد و التسبب و الإهمال و عدم الانضباط ، كذلك الرشوة و التى تسارع في تحقيق الصعود المطلوب ما هى إلا مظاهر مختلفة لقيم المجتمع الجديدة في ظل مبادئ السرعة و الشطارة و الانتهازية .

و الملاحظ أن خوف هؤلاء الصاعدين من الهبوط السريع كما كان الصعود سريعا ، يجعل أى ثمن يهون في مقابل الحفاظ على هذا المركز الجديد و الهروب من الماضى القديم وبالتالي لا يستغرب في ظل هذه القيم أن تهون قيم الإبداع و الجمال و الأصالة في مقابل التطلع إلى الترقى و الصعود و الغنى ، و اعتبار البحث عن الجمال أو محاولة الحفاظ عليه في حياتنا يعد أحد القيم البالية لهذا العصر الجديد .

**الحراك الاجتماعى و المناخ الثقافى** :لو وضعنا سلما للقيم الثقافية جنباً الى جنب مع السلم الاجتماعى لقرنا مبدئياً أن السلمين يتجهان فى الاتجاه نفسه من الأسفل إلى الأعلى ، أى أن المراكز الاجتماعية تكون تلقائياً موزعة حسب الدرجات الثقافية ؛ و ذلك فى المجتمعات التى قد تعاني من مشاكل اقتصادية و لكن لم تبلغ درجة اللارجوع ، أما المجتمعات التى بلغت هذه الدرجة فإن السلمين ينعكسان وهى أشنع صورة للأزمة الثقافية التى لا تحل بمجتمع إلا صار عاجزا عن حل مشكلاته و لا يستطيع التعايش دون عقد نفسية تعرض شخصيته للتلف أو كرامته للمهانة (مالك بن نبي/ 1984/ص94)



شكل 5

**حضارة الضد anti-culture** وهى تطلق على الحضارة الاستهلاكية العالمية و هى تعد الحضارة الأكثر ذيوعا لدرجة لم تحظ بمثله حضارة من قبل و تعد أول حضارة عالمية عرفها الإنسان حيث وصلت إلى كل أطراف المعمورة حتى قرى إفريقيا... وهى حضارة تؤكد على الفرد المطلق الذى لا مرجعية له سوى ذاته و قوانين الطبيعة و المادة و هى تخاطب عالم الظاهر فقط...بعيدا عن الباطن و الضمير و غيرهما من المعانى...كما إنها تحاول قدر الإمكان أن تنفصل عن التاريخ وعن الزمان و المكان لتطرح أشكالاً حضارية متحررة من تلك القيود و هى لا ترى الإنسان نتاج تفاعل لآلاف السنين بين جماعة بشرية ما و البيئة المحيطة بها مما ينتج هوية محددة

وهى ترى الإنسان كتركيب بسيط مادي مسطح... وبالتالي فإن الهدف من وجود الإنسان فى الأرض ليس البحث عن الحق والخير و الجمال.. إنما يدخل الإنسان حلقة الاستهلاك المغلقة فينتج ليستهلك و يستهلك لينتج.... وفنون هذه الحضارة تتميز بالبساطة الشديدة و الانفصال التام عن أية خصوصية زمانية أو مكانية .

هذه الحضارة التفكيكية المنفصلة عن القيمة و الزمان و المكان و التراث و التاريخ لا تقوم بتفكيك الحضارات الشرقية فقط و إنما تقوم بتفكيك كل الحضارات حتى الغربية فالأجيال الجديدة فى الغرب لاتعرف ايضا تراث بلدها و لا تقاليده و خصوصيته ..

ومن الواضح أن معظم المجتمعات الحديثة قد رضخت لإغواء سلع هذه الحضارة دون إدراك لتأثيرها على أسلوب الحياة ونسيج المجتمع فيما يسمى بالإغواء الثقافى و هو المصطلح الأكثر دقة من مصطلح الغزو الثقافى الذي قد يوحي بنوع من الإجبار أو استخدام القوة و الحقيقة أنها لا تلجأ للعنف أو القهر و إنما تتسرب إلى الإنسان الذى قد يفضل السهل على الجميل أحياناً ، و ما عليه إلا أن يستسلم لذلك التأثير.. ( عبد الوهاب المسيرى /2008/ص 301 : 308 )

### العلاقة التبادلية بين الثقافة و العمران :

أولا تأثير الثقافة على صياغة و تشكيل العمران : و هى من خلال ثلاثة مستويات:

**مستوى العلوم و المعارف و تأثيره على العمران:** يوفىء به التكنولوجيا المتاحة و التى تسهم فى تحديد تقنية البناء و المواد المستخدمة و أسلوب الإنشاء .

**مستوى العادات و التقاليد و تأثيره على العمران:** لا يستطيع المعمارى أن يغفل العادات و التقاليد الخاصة بالمجتمع لأنها تفرض نفسها بقوة و تنعكس فى شكل الطرز و الزخارف ؛ و لذلك فقد نجد بعض البيئات ذات الملامح العمرانية المتشابهة رغم أنها فى أقاليم مناخية مختلفة ؛ و ذلك لوحدة التقاليد و الأعراف الحاكمة..مثل قيمة الخصوصية مثلا فى المجتمعات الاسلامية على اختلاف بلدانها ، و بالتالى نجد أنه يتجه الى الداخل ، إذن يمكن إدراك أن العلاقة بين العمران و الثقافة و المجتمع علاقة متبادلة و حدوث أى خلل فى أحد الأطراف يؤثر على الطرف الآخر مباشرة .. فمثلا إلغاء الفراغات العمرانية التى يمارس فيها نشاط معين تؤدى إلى إندثار بعض العادات و التقاليد المرتبطة بهذا النشاط ، مما يؤدى إلى تغير فى خصائص و سمات المجتمع.

**مستوى المعتقدات و تأثيره على العمران :** و يؤثر أيضا المعتقدات و الدين و الأسطورة و الرموز المختلفة التى تحمل معانٍ لأصحاب تلك الثقافة على العمران و يظهر من خلال الزخارف و المواد البنائية .

**ثانيا تأثير العمران على الثقافة:** قد يستخدم العمران أيضا لنشر ثقافة معينة أو إحداث تغيرات فى ثقافة المجتمع ، و لكنه يأخذ فترة زمنية طويلة نظرا لأن العوامل الثقافية تكون أميل للثبات و عدم التغيير ..و العمران قد يشجع مجموعة من السلوكيات أو ينمى قواعد أخلاقية معينة ، و قد يكون وسيلة للحفاظ على ملامح وهوية المجتمع إذا كان نابعا و معبرا عنه ، وقد يكون أداة لتغيير الثقافة وإدخال ملامح أجنبية كما فى عهد الخديوى إسماعيل ، و الذى انعكس على الناس و سلوكياتهم فبدأت الثقافة و اللغة الفرنسية فى الانتشار وكذلك الموسيقى الغربية و غيرها .

**والصور التالية تعكس مدى ارتباط تدهور السلوك الإنسانى بالتدهور العمرانى:**



شكل 7

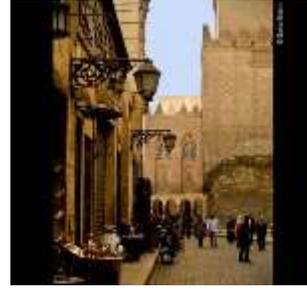


شكل 6

على سبيل المثال الفارق بين سبيل المياه فى شوارع القاهرة سنة 1822م وسبيل المياه فى شوارع القاهرة فى سنة 2015 أو بين عمود الإنارة قديما وحديثا يلخص العديد من عمليات التنظير السابقة والتي تربط بين ثقافة المجتمع وعمرانه .



شكل 9



شكل 8

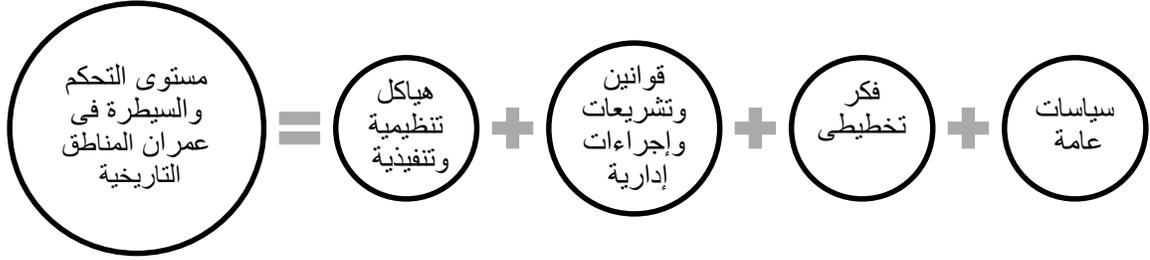


شكل 10-11



الأشكال 12-13-14

الأشكال (10-11-12-13-14) صور لأحد الاسواق القديمة فى منطقة الموسيقى والعتبة ويظهر فيه طغيان تدهور السلوك البشرى على جمال تفاصيل عمارة السوق من حيث التعدى وسوء الاستخدام وهو مايربط بشكل مباشر بين تدهور السلوك وتدهور العمران .



جدول 3

مستويات التحكم و السيطرة على العمران فى المناطق التاريخية (جدول 3) :

تتمثل فى الآتى :

سياسات و استراتيجيات عامة : أى الإطار العام للسياسات على المستوى القومى و الإقليمى

السياسات و الفكر التخطيطى :و يتضمن الفكر التخطيطى و المعايير التصميمية و التخطيطية التى تختلف من مشروع إلى آخر ومناهج التعامل و اقتراح أساليب التنفيذ .

أساليب تحكم مباشرة : كالقوانين و التشريعات و الاجراءات القانونية و الادارية و التنظيمية التى تعمل على التحكم فى العمران.

النظم و الهياكل الإدارية و التنظيمية : التى تعمل على إدارة التنمية العمرانية و تنفيذ المشروعات

والتنسيق والتفاعل بين هذه العناصر هو ما يضمن مستوى التحكم والسيطرة فى المناطق التاريخية

ولرصد تأثير التجارب السياسية المختلفة على العمران يتناول البحث بعض التجارب المختلفة التى تعكس الارتباط الوثيق بينهما وأساليب السيطرة و التحكم فى عمران المناطق التاريخية فى مناطق مختلفة من العالم :

تختلف أساليب التحكم فى العمران من بلد إلى آخر تبعاً لنظمها السياسية و الإدارية وهناك ثلاثة طرق رئيسة هى التحكم الموجه ، التحكم الحر ، التحكم المطلق المقيد .

**التحكم الموجه ( التجربة الإنجليزية ):**

**تعريف التحكم الموجه :** هو التحكم الذى تشارك فيه المجالس المحلية فى إطار مجموعة من اللوائح و القوانين التى تنظم العمران ، و هذا النوع تتميز به الدول ذات الاقتصاد الحر الموجه مثل إنجلترا .

**التحكم الحر ( تجربة الولايات المتحدة الأمريكية ):**

تعريف التحكم الحر: هو التحكم الذى يخضع لتوجيه المجالس المحلية أو مؤسسات التنمية العمرانية المحلية أو المركزية و يقتصر التحكم على الأسس الفنية و المعدلات التخطيطية و التصميمية و تتميز به الدول التى تنتهج الفكر الاقتصادى الرأسمالى كان اهتمام المدرسة الأمريكية فى النصف الأول من القرن العشرين منصبا على التغيرات الاجتماعية و الأخلاقية و الثقافية و التغيرات التى تصاحب العمران فى نموه وتطوره، بعد

الحرب العالمية الأولى بدأ يزيد تأثير التغيرات الاقتصادية ، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت المدرسة الأمريكية تتوافق مع الاتجاه الرأسمالي و الاشتراكي لتحقيق التوازن.

التحكم المطلق المقيد ( تجربة الاتحاد السوفيتي السابق ):

و هو تحكم مطلق شامل و مقيد لكل جوانب العمران و التنمية و تتميز به الدول التي تتخذ الفكر الاشتراكي في سياستها مثل الصين و الاتحاد السوفيتي السابق.

جدول 4

نوعية التحكم	التحكم الموجه التجربة الانجليزية	التحكم الحر التجربة الHامريكية	التحكم المطلق التجربة الروسية	سياسة التحكم في مصر
بيئى اجتماعى	اقتصادى	اجتماعى اقتصادى	بيئى	غياب الاتجاه التخطيطي بالمدن سواء القائمة H او الجديدة
محكم و رسمى مركزى و محلى	تحكم قومى تحت تأثير القوى الاقتصادية محلى ذاتى	محكم مركزى عند التخطيط محلى عند التنفيذ	تحكم مركزى ضعيف غياب المستوى الإقليمي و المحلى رغم صدور قانون بأهميتها	
سيطرة شبه مطلقة من خلال المخططات تنفيذ المخططات و التزام قانونى على كافة المستويات	تحكم و سيطرة تابعة لرغبات و حقوق الأفراد و وحريرتهم فى الاعتراض	تحكم مطلق مقيد بالرغم من المركزية فى التخطيط و المحلية فى التنفيذ	تحكم مركزى و انتهاك للنظم و القوانين عدم الجدية فى التخطيط أو التنفيذ	
سياسات عامة و قومية سياسات إقليمية خطط تفصيلية	سياسات عامة خطط للولايات خطط للمدن خطط تفصيلية	سياسات عامة خطط تفصيلية	خطط اقتصادية للدولة بعض المخططات الإقليمية و مخططات بعض المدن	
القانون على المستوى القومى به شرح مستفيض و يقترح الجوانب الإدارية والتنظيمية قوانين على المستوى المحلية	القوانين المحددة للإطار العام المحليات بوضع الخطط والهيكل التنظيمية	القوانين المنظمة للعمران على المستوي القومى و تحدد الهياكل الإدارية و التنظيمية على كل المستويات	اطار عام هو القانون 3 لسنة 1983 سلبية واضحة فى انتهاك هذا القانون و انتهاك واضح له	
هياكل تنظيمية و ادارية على كل المستويات القومية و المحلية و التفصيلية	على المستوي القومى و الإقليمي توجد هياكل إدارية على المستوى المحلى أجهزة تنظيمية لإعداد الخطط و تنفيذها	هياكل تنظيمية و إدارية على المستويين القومى و المحلى	على المستوى القومى الهياكل التنظيمية ضعيفة بالمقارنة بحجم العمران وعلى المستوى المحلى تغيب الجوانب الإدارية و التنظيمية على مستوى التنفيذ	

## نتائج الدراسة :

- تعرض المجتمع المصرى لهزات سياسية عنيفة على مدى زمنى قصير مما نتج عنه تخبط و تضارب أثر على طبيعة الإنسان المصرى .
  - تضاربت السياسات العامة للدولة من إحكام قبضة الدولة القوية و القطاع الحكومى العام فى الخمسينات و الستينات إلى سياسة الانفتاح و القطاع الخاص و رخاوة الدولة إلى آثار اجتياح العولمة وما تبعه من تغيرات أثرت على سياسات الحفاظ للقاهرة التاريخية .
  - السياسة العامة للدولة تؤثر على عمران المناطق التاريخية ، فكل نظام يعبر عن سياسته من خلال طرق التحكم فى العمران التاريخى و التى تتسق مع مبادئه العامة و الأطر العريضة التى تميز سياساته.
  - على الرغم من كثرة الدراسات الأكاديمية التى تبحث فى المناطق ذات القيمة و الحفاظ عليها ، إلا أن ذلك لم يغير كثيرا فى واقع العمران المصرى المتدهور مما يعنى أن المشكلة ليس فى قلة الأبحاث و الدراسات المعمارية و إنما المشكلة فى قلة الدراسات الإنسانية التى تلمس طبيعة المتلقى و مدى احتياجاته واستجابته و تعاونه مع الجهات المعنية للحفاظ على ما يتم إنجازه ..
- التوصيات:**

- يوصى البحث الجهات المسؤولة عن صنع القرار السياسى بضرورة أن تنتهى العمارة التاريخية عن الانقياد غير المدروس لتوجهات الدولة.
- يوصى البحث بضرورة أن يكون ساكنو القاهرة التاريخية على وعى و قدر من المسئولية والشعور بالانتماء يدفعهم للحفاظ على تاريخهم العمرانى .
- ترسيخ ثقافة المساءلة المجتمعية بإشراك المجتمع من خلال معرفته بتكلفة الخدمات .. و مراقبة هذه الخدمات العامة والتأكد من جودتها و بالتالى يصبح للمجتمع دور فى تحسين ومساءلة الأجهزة الحكومية .
- التوصية بحتمية أن تسن الهيئات التشريعية عدداً من القوانين واللوائح التى تنظم العمران فى القاهرة التاريخية و تحميه ، وتضمن توافقه مع البيئة المحيطة مع الحرص على تطبيق هذه القوانين بمنتهى الصرامة .

## المراجع :

## كتب عربية :

- جمال حمدان / شخصية مصر / مكتبة الأسرة / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 2000 .
- جلال أمين / ماذا حدث للمصريين / مكتبة الأسرة / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 1999.
- جلال أمين / وصف مصر فى نهاية القرن العشرين / دار الشروق / الطبعة الاولى / 2000 .
- زكى نجيب محمود / مجتمع جديد أو الكارثة / دار الشروق / الطبعة الثالثة / 1983.
- عبد الوهاب المسيرى / دراسات معرفية فى الحضارة الغربية / مكتبة الشروق الدولية / الطبعة الثانية / 2008.
- محمد رياض / القاهرة نسيج الناس فى المكان و الزمان و مشكلاتها فى الحاضر و المستقبل / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 2007.

## رسائل علمية :

- إيمان على الهوارى /التنسيق الحضارى فى مصر بين الواقع التراثى والمتطلبات البيئية /رسالة دكتوراه/ كلية الفنون التطبيقية /جامعة حلوان/2013.
- باهر اسماعيل حلمى فرحات / العلاقة التبادلية بين السلوك الإنسانى و البيئة المادية فى الفراغات العمرانية /رسالة ماجستير/ كلية الهندسة / جامعة عين شمس/ .
- محمد صلاح الدين خيرى غنيم /رصد التغيير فى عمارة و عمران المناطق ذات القيمة الحضارية مع ذكر خاص لمدينة القاهرة - مدخل للحفاظ و التحكم / رسالة ماجستير / جامعة القاهرة / كلية الهندسة / 1992 .